اخفاق سياسة التنمية لمساعدة الدول الفقيرة

نجم عبد الحسين

لم يكن بعيداً ذلك الزمن الذي جعلت فيه مجموعة من الخبراء من العالم الثالث التنمية في الدول الفقيرة قضيتها الاساسية او كانت دعوتها تلك خرقاً على حديد بارد او صرخة في واد...ولكن تغير الزمن وصار انطلاق الدول الفقيرة اليوم ضرورة ملحة يعترف باهميتها الكثير وترسخ هذا الوعي الغربي باهمية التنمية بعد احداث ايلول العام (٢٠٠١) في امريكا...اذا لم يعد بالامكان ان تترك اقلية متطورة (٩٥٠) مليون فرد من (٦,٥) مليارات نسمة تتحكم اقلية متطورة باكملها من دون عقاب...او ردع انساني...! لقد كان للعولمة مخاطرها وحالات ضعفها وفي ظلها صار العالم يرزح كثيراً تحت اللامساوات اكثر من اي وقت مضى...وتضاعف الفارق بين الدول العشرين الاغنى في العالم...وبين الدول العشرين الافقر منذ العام (١٩٧٠) وفي خلال المرحلة ذاتها هذه وصل معدل دخل الفرد الامريكي الى (١٥) الف دولار من الانتاج المحلي الخام السنوي او الفرد في جنوبي اسيا الى (٢,٦) دولار (الفان وستمائة دولار) والافريقي والعربي لا شيء تقريباً..وشهد الكثير من دول العالم تدهوراً وانكفاء في مستوى الحياة فيها.وبموجب اخر الارقام التي قدمها البرنامج الانمائي للامم المتحدة يعيش (١,٢) مليار فرد في العالم باقل من (١ دولار) يومياً...! وعلى الرغم من ان الطفل الذي يولد اليوم يمكن ان يأمل بالعيش ثماني سنوات على الاقل مما لو ولد في العام (١٩٩٠) وان متوسط الدخل قد تضاعف عملياً منذ العام (١٩٩٥) في بعض الدول الفقيرة (النامية) الا ان هذه الارقام تخفي تبايناً كبيراً في الاوضاع ففي الوقت الذي تحقق فيه دول شرقي اسيا تفوقاً ملحوظاً تضمحل افريقيا جنوبي الصحراء بشكل كارثي وبالنسبة للقسم الاعظم من دول العالم الفقير لم يتحقق هدف تراجع الفقير. ويعزى هذا الاخفاق الذريع لكل المنظمات الدولية والدول الغنية الكبرى.ولقد اعترف الخبراء والموسسات الدولية باخفاقهم واخفاق سياسات التنمية الدولية منذ اكثر من ربع قرن....ويفتحون اليوم مبادئ جديدة للتنمية فقد اعلن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي عن انتهاء عهد الحلول الاقتصادي المفروضة كالترياق على الاقتصاديات النامية او بدت مجموعة الحلول المنضوية تحت اسم اتفاق واشنطن محدودة كما يؤكد (فليب هيجون) الاستاذ في جامعة باريس العاشرة والمتخصص بقضايا التنمية ان ضغط الموازنة والتقشف النقدي وتعديل ميزان المدفوعات ومحاربة التضخم كلها ضرورية لحل الازمات الاقتصادية واختناقاتها المستمرة..لكن هذه الاجراءات لا يمكن ان تكون بديلاً عن السياسة التنموية بعيدة المدى. ومن جانب فان البنك الدولي اعترف بقصور برامجه اما بالنسبة لتدخل صندوق النقد الدولي في حل الازمات الدولية فان خططاً في التعديل الهيكلي للاقتصاد والمرادفة لتقليل الطلب الداخلي اصبحت الشعوب تعاني معاناة شديدة وخطيرة ففي الاقتصاديات النامية يظهر في بعض الحالات (الانتاج السلبي) او المعاكس...تفويض اجراءات الحماية وفتح الحدود ورفع جميع القيود على حركة رؤوس الاموال وهي تجربة مريرة بها قد مرت بعض الدول مثل تايلند التي اجتاحتها الازمة المالية العنيفة العام (١٩٩٧) بينما قاومت هذه العاصفة ماليزيا التي ابقت القيود على دخول رؤوس الاموال.كما ان الانفتاح على التجارة الدولية الذي تشجعه المؤسسات الدولية كأحد عوامل التنمية لم يحقق اهدافه.ان حرية التبادل افادت بعض الدول ولكن ليست جميعها او هناك دراسة لمركز الدراسات والمعلومات الدولية اشارت الى انه من ثلاثين بلداً فان الدول الاكثر نقداً في مستوى الحياة ليست هي الاكثر ومعلوم ان للبنك الدولي اليوم منهاجاً اكثر تنوعاً ووضع البنك مجموعة مؤشرات لتحديد كفاءة المؤسسات لدى بلد معين...اذا ان عدم الاستقرار السياسي والعنف وعدم المشاركة العامة وضغط التسويات وعدم تطبيق القوانين والفساد الاداري والتوتر الاثني والبيروقراطية الثقيلة جداً...وعدم احترام العقود كما هو حاصل في العراق اليوم ..كلها عوامل تحد من الانطلاق الاقتصادي..كما ان غياب دولة القانون والسيطرة والاستحكام عوامل مؤثرة لتأخير التطور والتقدم..لكننا هنا نقف ازاء المشكلة المعقدة جداً للمنطقة بتباين المجتمعات ,فالمعايير التي حددتها الدولة الغربية لا تتفق بالضرورة مع وقع الدول كما يقول (فيليب هيجون) ففي افريقيا ليس هناك الاالقليل من الالتزام بالعقود والاتفاقيات ,وليس هناك محاكم تحكم بتطبيقها...وفي الصين ليس هناك قانون رسمي بشأن هذه النقطة بل توجد مجموعة اجراءات شفهية تضمن احترام العقود,وكذلك فان الفساد في اسيا وافريقيا متشابه تقريباً ففي كوريا يصل الفساد الى القمة بين عالم السياسة وعالم التجارة وفي افريقيا فان الفساد أعمق. ونطرح هذا التساؤل : لماذا لم تستطع بعض الدول الانطلاق مثل الارجنتين التي غدت في بداية القرن مثل الدول البارزة (كندا واستراليا)؟ ولماذا صارت بعض الدول مثل المكسيك والبرازيل وفنزويلا..وبرغم الاداء الجيد في اقتصادياتها حتى بداية الثمانينات ضعيفة اقتصادياً بعد الثمانينات ولماذا استمر الركود في الفلبين وبوليفا برغم عودة التوازن في اقتصادياتها وعلى نحو يدعو الى الدهشة ؟ تشير بحوث خبراء الاقتصاد الحديثة الى ان الاسباب عديدة:منها الجغرافية والاندماج في الاسواق الدولية والمؤسسات والتاريخ.. وكلها عوامل مهمة نحو التطور .غير ان هذا التعقيد ليس ذريعة لعدم التحرك ولم يعد بامكان الدول الغربية ان تغالط نفسها اذ ان جهداً جماعياً لمساعدة الدول النامية والفقيرة صار يفرض نفسه بشدة وتعد الخطوة الاولى اخفاء ديون اكثر الدول مديونية...وفتح اسواق الدول الصناعية امام المنتجات الوطنية تلك التي تصنعها دول الجنوب خطوة مهمة على طريق التطور...لكن الاهم زيادة المساعدات من اجل التنمية التي انخفضت بشكل يدعو الى الاسف في السنوات القليلة الماضية...اذا لم تصل الى (٠,٢٢٪) من الانتاج الخام لدول الاسياد...فامريكا لم تخصص الا (٠,١٪) من مواردها للتنمية...وفرنسا لا تزال تخفض مساعداتها منذ اكثر من عقد.

الفكر الحر

من يدافع عن الحقوق المسلوبة للكوردي الفيلي؟

فريدون كريم ملك

لقد حل بالكوردي الفيلي من المآسي ما لم تحل بأي قومية فتهجير اكثر من خمسة الاف فيلي والقائهم وراء الحدود من دون رحمة من جانب السلطة تعد صفحة من الصفحات التراجيدية في حياة الشعب العراقي عامة والشعب الكوردي خاصة. قامت السلطة بكل تلك الاعمال الاجرامية والرأي العام العالمي لم ينبس ببنت شفة ولم يحرك ساكناً ولو بادانة لفظية بسبب شراء بعض الذمم من المسؤولين عن الاجهزة الاعلامية فلم تعد المسيرات ولا الاحتجاجات ولا اصلا اية معارضة اما الرأي العام العراقي فكان في مقبرة السلطة حيث الصمت كان مخيما عليه. تلك كانت بعض الصور عن وضعية الكورد الفيليين في بداية الثمانينات فكل الجرائم التي ارتكبت بحق الانسانية كانت تقابلها الافراح في الاجهزة الاعلامية اما الاناشيد والاغاني التي تمجد القائد فقد صمت الاذان.. اجل هجر مئات الالوف وصودرت الممتلكات الشخصية اما الادهى من كل ذلك هو حجز عشرات الالوف من الشباب الكوردي الفيلي في سجون النظام وقتلهم فيما بعد باساليب منها استغلالهم لاجراء التجارب الكيمياوية والبايلوجية عليهم هذه هي المأساة بابسط صورها. اما الموضوع الذي نحن بصدده هو من يدافع عن شريحة الكورد الفيليين بعد سقوط النظام وعودة المهجرين؟ ان سقوط النظام وعودة اعداد من الفيليين لم تشكل خاتمة المأساة وانما معها بدأت فصول جديدة لاتقل مأساوية عما حصل اثناء التسفيرات.. رجع المواطن على امل الالتقاء بابنائه الا ان الذي حصل هو ضياع الابناء في قبور جماعية لازالت مجهولة اما الاملاك فهي الاخرى مشكلة فقد حصرت في دوائر نزاعات الملكية وكأنها مشكلة بين بائع او مشتر وليست مشكلة دولة صادرت الممتلكات ووزعتها على اتباعها والمقربين منها.. فالمشكلة اذن لاتتعلق بالمسفر او المهجر فانه لم يبيع او يهدي وانما اخذت منه رغما عنه فلماذا اذن يكون طرفا في المشكلة الجديدة بالاخص انه لايملك مايدفعه كتعويض لمالك اهدته الدولة مما تملك ولا نجد من يدافع عنه بعد اكثر من سبع وعشرين سنة من التهجير.. اما مشكلة الجنسية فانها الاخرى لازالت في مزايدات وزارة الداخلية ومديريات الجنسية وهناك مشاكل لاتقل اهمية عن هذه المشكلة كالبطالة والسكن والوضع الاقتصادي المؤلم فالبطالة والسكن والعوز نهشت جسد الكوردي الفيلي العائد من بعد سنوات العذاب. هنا لابد من التفكير من المسؤول عن اعادة الحق الى اصحابه؟ فبعد سقوط النظام برزت منظمات كوردية وانضم اليها اعداد من الكورد الفيليين فكان لها والحق يقال حضور كبير من خلال مراجعة المسؤولين من اعضاء مجلس الحكم وجميع المسؤولين فيما بعد وكان لها الدور الكبير في تعريف قضاياهم الى اجهزة الاعلام الاانه وبعد مرور بعض الوقت لوحظ اختفاءها عن الساحة فلم يتبق منها سوى بعض المقرات او اليافطات الدالة فبعد ان كانت تعج بالمراجعين نجدها اكثرها خاوية اما دورها فقد ضعف الى حد كبير بالاخص بعد ان وصل العديد من كوادر تلك المنظمات والمؤسسات الى دفة الحكم كمسؤولين في الخط الاول او اعضاء في الجمعية الوطنية او البرلمان فكأن الوظيفة او المنصب هو اخر المطاف. الهدف من سرد كل هذه الاحداث التي نعتبرها ويعتبرها الجميع حقائق وهي مااستنتج من بعد عقد المؤتمر الثالث للتهجير الذي عقد بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لعمليات التهجير والتسفير والتغييب فقد حضر العديد من الممثلين عن التيارات السياسية والثقافية بالاضافة الى عدد كبير من المسؤولين في الدولة الا ان من المؤسف هو غياب بعض المنظمات او الجمعيات الفيلية بالاضافة الى عدد من رموز الشريحة من الذين كان الجميع في انتظارهم. ان السعي الى تحقيق الحقوق المغتصبة يجب ان يتم على جميع الأصعدة وعن طريق هذه المنظمات بالاضافة الى التركيز على الاعلام بشكل خاص كاسلوب حضاري. وان حضور المسؤولين في هذه المؤتمرات من شانه تبادل الاراء وطرح الافكار بصورة مباشرة من اجل الوصول الى رفع الغبن عن هذه الشريحة.. والظروف الحالية تستوجب التفاعل مع قضية الكورد الفيليين والمآسي التي لحقت بهم بعيدا كل البعد عن التناحرات والاختلافات السياسية بين الاحزاب والمنظمات وعلى الجميع العمل وبكل نكران ذات لتحقيق الحقوق التي اغتصبتها السلطات السابقة.

يتيم السياسة

آفاق الكورد

قد يكون العنوان فيه شيء من الاستغراب ولكنه فعلا يدل على حالة معينة اذ تجري هذه الايام الاحاديث عن الايتام وكيفية رعايتهم وتوفير المستلزمات التي قد تعوض عن فقدانهم ذويهم وتجعلهم يشعرون ببعض الفرحة التي غابت عن شفاههم منذ ان افلت شمس الاب الحنين عنهم ولان الكلام الذي يدور حاليا يتمحور حول صفة واحدة وهي صفة اليتم بمعناها العام وهو الانسان القاصر الذي فقد اباه نتيجة لظروف معينة قد تكون وفاة الوالد قبل ولادة الطفل او موته لسبب ما من الاسباب الا ان هذا الامر في العراق له مفهوم اخر ففي العراق تغير حتى مفهوم الايتام حيث يوجد الملايين منهم ممن شاءت الاقدار والظروف ان تجعلهم ايتاما لايعرفون لماذا ايتموا ولماذا كان قدرهم مأساويا لهذا الحد... ولم تعد نظرية القضاء والقدر هي الحاكمة في مسالة اليتيم بل دخلت الى جانبها السياسة اذ اصبحت من الصعب ان تنشيء بيتا واسرة وطفل تنتظر ولادته شهورا حتى يمكن ان يتنفس اولى نسائم الهواء ولكن من السهولة جدا فقدان انسان مسؤول عن بيت وعائلة وزوجة واولاد في غضون دقائق قليلة لااكثر...فهذا الشخص المسؤول عن تربيتك ورعايتك والذي يعد رب الاسرة ووالدها تستطيع يد حاقدة قتله في غضون وقت قصير جدا وحرمان كل من يعيش تحت حنانه فالسياسة لها دورها في حرمان عوائل عراقية كثيرة من ارباب اسرها وافتقاد اطفال في عمر الزهور لرعاية ابائهم لهم بمجرد تصريح صغير فهذا التصريح له وقع السحر تجد بعده اعلانات الـ (عاجل) تنهمر على كل الفضائيات وهي تقول العدد في تزايد واكيد ان العدد ليس يفرح العراقيين لان العدد الذي تقول عنه هذه الفضائيات هم من راحوا ضحية انفجار او قتل جماعي وبالتالي حرمان عوائل من فقدوا الاب من ابيهم فجبهة القتال التي روج لها النظام السابق و جعل فيها ثقافة الشعب العراقي كلها حربية وادخلها حتى في كتب الاطفال المدرسية عن طريق قصص وقصائد ومنها (عاد ابي من جبهة القتال) انتقلت الى داخل المدينة والمحافظة والبيت ولم يعد الاباء يقتلون في جبهات القتال بل عكست الاية واصبح الحديث (مات ابي في الشارع الفلاني) بفضل تصريح سياسي واهل السياسة هم من يتحملون الذنب فعلينا اذا كنا نريد لهذا البلد خيرا ان نكف عن التصريحات النارية التي تكون فيها اول نتائجها (استشهاد وجرح كذا عدد من العمال او بائعي الخضروات ووو... الخ) فاذا كان البلد يهم الجميع وكلهم يبحث عن العراق بكلامه فعلى من لديه حرية الكلام من السياسيين ان لايعطوا الضوء الاخضر لقتل ابناء هذا البلد بكلام اشد من وقع السيوف التي تأتي بعد التصريحات فايتام السياسة كثروا وسياتي يوم لايستطيع احد ان يوقف هذا العدد الهائل منهم .

الاستهلاك محرك للعجلة الاقتصادية

يعتبر الاستهلاك أحد أهم مكونات الناتج الوطني الإجمالي. فهو يأتي على جانبي المعادلة حيث يعتبر دخلاً وإنفاقًا عند قياس الناتج الوطني الإجمالي. ومن هذا المنطلق فإن استهلاك فرد (إنفاقه) يعتبر دخلاً لفرد آخر. ويعتمد الاستهلاك بشكل كبير على عوامل عدة لعل من أهمها الدخل، وفي هذه الحالة فإن الدخل يقسم إلى استهلاك وادخار.

وفي الحالات التي يكون فيها الدخل منخفضًا يستهلك الفرد أو العائلة مجمل هذا الدخل أو كله. أما عند زيادة الدخل فإن النسبة الموجهة من هذا الدخل تبدأ في الانخفاض. وقد بينت الدراسات الإحصائية أن نسبة الاستهلاك الإجمالي لبعض المجتمعات تصل إلى ما يقارب ٩٠٪ من الدخل ويذهب الباقي إلى الادخار.

وتختلف نسبة الادخار والاستهلاك من مجتمع إلى مجتمع، فبعض المجتمعات يميل أكثر إلى الاستهلاك وبعضها ترتفع نسبة الادخار لديها. ولا يمكن أن نغفل أن للاستهلاك أهميته في النمو الاقتصادي، حيث إن زيادة الاستهلاك وخصوصًا للسلع المعمرة يشجع على الإنتاج والذي بدوره يشجع على زيادة العمالة وخلق أعمال جديدة. كما أن الادخار الذي في الغالب يوجه للاستثمار يؤدي إلى تشجيع الاستثمارات والتي بطبعها تكون طويلة الأجل وهو ما يزيد في التنمية الاقتصادية والنمو الاقتصادي وفي أثناء الازدهار الاقتصادي تتوفر فرص العمل، ويزداد حجم الإنفاق بأنواعه الاستهلاكي والاستثماري وينمو تبعًا لذلك الحجم الحقيقي للناتج الوطني الإجمالي. ولا يمكن أن نغفل أنه في أي اقتصاد تكون هناك فترات ازدهار وتعقبها فترات كساد وهكذا أو ما يسمى بالدورات الاقتصادية.

ففي فترات الكساد يتباطأ معدل نمو كل من الإنفاق الاستهلاكي والإنفاق الاستثماري، الأمر الذي يؤدي إلى انعدام الفرص الجديدة للعمل، وهو ما يؤدي إلى زيادة نسبة البطالة، وقد تحدث أزمات مالية تؤدي إلى فقدان البنوك، وأسواق رأس المال مقدرتها على أداء دورها بنجاح، وهذا قد يؤدي إلى انخفاض الأرباح وتعثر أسعار الأوراق المالية، هذا بالإضافة إلى انخفاض مستويات الإنتاج الوطني الإجمالي الحقيقي عن المستويات الممكن تحقيقها. وفي كل الأحوال تتعاقب الموجات المتتالية من حالات الانتعاش الاقتصادي والتدهور (الكساد) والذي معه يصبح من الأهمية بمكان تحديد المستوى الذي يجب أن ينمو إليه الإنتاج الوطني الحقيقي بحيث يتحقق مستوى التوظيف الكامل عن طريق استخدام السياسة المالية والنقدية المناسبة في كلتا الحالتين.

إن من المهم التمييز بين الادخار والاستثمار بين العوامل المؤثرة في كل منهما، وهذا يعتبر أمرًا حاسمًا ومهمًا بالنسبة للمحللين الاقتصاديين، حيث إن بعضهم يرى أن الاستثمار يؤدي الدور الأهم في النمو الاقتصادي وأنه الأكثر عرضة للتقلب بسبب التغير في توقعات المستثمرين وتعدد العوامل التي يمكن أن تؤثر في هذه التوقعات.

وإلى جانب تأثير الدخل على الإنفاق الاستهلاكي هناك عوامل أخرى كثيرة يؤثر كل منها بدرجة ما على هذا الإنفاق، مثل مقدار الثروة التي يمتلكها الفرد، عمره وحالته الاجتماعية، توقعاته المستقبلية بالنسبة للأسعار والدخل المستقبلي، العادات والتقاليد السائدة في المجتمع (أو ما يعرف بالذوق) ومع ذلك فإن الاقتصاديين يعطون للدخل أهمية تفوق أهمية العوامل الأخرى.

الديمقراطية والتوازن الاجتماعي

نشأت البصري

لو إنسان فقير لا يملك غير قدرته الشخصية , نجده يتمتع بالأمانة والإخلاص والتي تمكنه من المحافظة على مصدر أكل العيش وعلى هذا المنوال نجد أشخاص يمارسون حياتهم بالفطرة للحصول على التوازن الاجتماعي

لو تأملنا في حياتنا المعيشية اليومية نجد أشياء كثيرة تحدث أمامنا ممكن أن يتطلع لها شخص غير مبال لها، ويمكن أن يلاحظها شخص أخر ليجد فيها تأملاً ودروساً يستفيد منها. فلو نظرنا مثلاً لشخص متوسط الطول نحيل البنية لنجده بالفطرة ومحبته في البقاء وإثبات الوجود , يستعمل قدراته العقلية وخفة الظل وسرعة الحركة, واكتسابه مقدرة الدفاع عن النفس بالرياضات التي تعتمد على خفة الحركة ويعطي لذكائه العنان ليصبح مبدعاً محترماً يجد توازنه الاجتماعي مع الآخرين, وعلى العكس لو كان هناك آخر قوي البنية طويل القامة نجده يتمتع بطول الأناة والصبر وعدم العدوانية وهذا أيضا بالفطرة لكي يجد مكانه وسط المجتمع ويتقبله الآخرون من دون خوف , ومن هنا يحصل على توازنه الاجتماعي ويستطيع أن يبدع أيضا ويعيش.

ولو نظرنا شخص غني يملك شركات وأماكن للكسب المادي , بالفطرة والدراسة يبحث عن أي شيء ينمي مكاسبه ويمكنه من الإدارة الحكيمة لمشروعاته , فتجده يبحث عن مستشارين أكفاء يأخذ منهم المعلومة ولا يقدم على عمل أي شيء إلا بعد دراسته تماما , ولزيادة كفاءة العمل نجده متفانياً لراحة العاملين لديه , ويشاركهم الرأي ويمكن أن يستشيرهم , ليصنع منهم منتمين للمكان والعمل لديه أيضا.

لو إنسان فقير لا يملك غير قدرته الشخصية , نجده يتمتع بالأمانة والإخلاص والتي تمكنه من المحافظة على مصدر أكل العيش. وعلى هذا المنوال نجد أشخاصاً يمارسون حياتهم بالفطرة للحصول على التوازن الاجتماعي , فتجد القبيحة تتجمل للحصول على نصيب في الحياة والجميلة تتواضع لنفس الغرض, وكل هذا يجد كل إنسان نفسه ويجد التوازن الاجتماعي.

وفي مملكة الحيوان أيضا نجد الحيوانات الصغيرة تملك مقدرة أكبر على البقاء , والحيوانات القوية تفني بعضها بقوتها , وكل هذا نتيجته التوازن البيئي. إذا المسألة عرض وطلب الكل يعرض قدراته والكل يبحث عن احتياجاته وفي ظل التوازن نجد أن كل من يطلب يجد ضالته. ولكن كل هذا يحدث في المجتمعات الديموقراطية فقط, والذي يجد كل فرد فيه أنه له دور بناء في مجتمعه , وهو متزن تماما مع الآخرين. حتى أن الله لما خلق العالم خلقه متوازناً الكل له فرصة الحياة والكل يجد احتياجاته بكل رضا.وهذا ما يسمى بالتوازن الطبيعي , أو التكافل.

ولكن إذا تدخل إنسان لكسر هذا التوازن , لأسباب الطمع , والسادية وفرض السطوة والسلطة. من هنا فقط تتوالد المجتمعات المتخلفة والتي حكمت على نفسها بالتخلف .فنجد انقسامات عنصرية تفرض سطوتها بوسيلة ما , ممكن أن تكون عنصرية بسبب الدين , العرق , واللون , وغيرها من أسباب التفرقة والتي من صنع الإنسان وحده. ونظراً للتشدد العنصري تتوالد الأفكار الديكتاتورية , لفرض الرأي بالقوة وفرض الدين بالقوة والتكفير والبطش , والاستيلاء على مقدرات الشعوب ومواردها ليجعل ابناء الشعب عبيداً ومن دون أجر لعبوديتهم. فتلجأ الشعوب للثورات والحركات المناهضة, والمطالبات والتي لا تجد أحداً يسمعها, ليستمر مسلسل ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .وإذا اتفق تواجد الدكتاتورية والرأسمالية تكون الطامة مضاعفة , ينتج عنها احتكار رأسمالي .ليدخل الشعب في دائرة الفقر والذي يعقبه الجهل والمرض.ولكن الرأسمالية في مجتمع ديمقراطي تحقق قمة العدالة والتوازن الاجتماعي لأن الكل محتاج للكل ولا فرق من صاحب عمل ومأجور عنده لأن الكل يأخذ بقدر عمله ومواهبه, وتفانيه في العمل.وإذا فقد مجتمع توازنه الاجتماعي , تكون هناك فروق طبقية , وجهل ومرض. ولمحبة البقاء نجد ظهور البلطجة , والرشوة والسرقة ووجود من يستغل الجهل ليبث روح العداء لعناصر مجتمعية. لتقوم حركات الفتن الطائفية , وقانون الغابة القوي يقتل الضعيف والبقاء للأ قوى. والكل في هذا يبحث على السلطة والسطوة باسم أي مبدأ يشبع أطماعه. وهذا هو الفرق بين المجتمعات الديموقراطية في جو صحي بعيد عن الطمع وبين الدكتاتورية في جو مليء بالمطامع ليتفرق العالم الى شعوب متحضرة وشعوب متخلفة. بالرغم من كل هذه الثوابت نلاحظ إنحدار العديد من المجتمعات إلى مهاوي الصراعات الطبقية وتسلط فئة أو طبقة على مقاليد النشاطات الاقتصادية. وفي هذا المجال لا تبخل العديد من الحكومات الدخول في صراع يصل إلى صراعات دموية من أجل خنق الاصوات وكتم الأنفاس المعارضة.

لماذا يقتتل العراقيون؟؟

خالص جلبي

مع الحرب الأهلية في العراق، مع مطلع عام ٢٠٠٧م، يتكامل خسوف المجتمع العراقي، وانتقاله من الاستبداد البعثي، إلى الاحتلال الأمريكي، إلى الفوضى والتفسخ في الحرب الأهلية، فيقتل الكل الكل، وينحر الجميع الجميع، كما حدث في الصومال ولبنان وأفغانستان والجزائر.

وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا.

ولأن ما يحدث في العراق زلزال، كما وصفته في كتابي (الزلزال العراقي)، الذي أصدرته (دار الراية)، والزلزال يشقق الأرض، ويقذف الآلاف من الحمم، كذلك سيفعل العراق في المنطقة، وما يحدث في العراق هو وباء طاعون، وجائحة عارمة، مثل طواعين العصور الوسطى، طالما لم تتوفر اللقاحات النوعية، من الأغذية الفكرية لمنعه، والحيلولة دون انتشاره.

وإذا انفجرت حرب أقليمية في المنطقة، فهو تحصيل حاصل لأن الحروب هي من إنتاج المتخلفين، أو لتأديب المتخلفين، يشنها في العادة متخلفون... سواء الصومال والحبشة، أو بوش وديك شيني. فالحرب في أربع كلمات: قصور عقلي وجريمة وجنون وإفلاس أخلاقي.. كان ذلك في الكتاب مسطورا.. وحاليا لبنان يقترب من حفلة حمام الدم، بعد أن نبت ديناصور لاحم بينهم، صادر اسم الله لذاته، فدخل في العباءة والقفطان، وأصبح صاحب العمامة شكله بشري ولسانه إلهي، ينطق رسميا باسم الله، وأنه الممثل الشرعي الوحيد له على وجه الأرض.

ونحن نعرف في الطب أن الجسم حينما يموت يمر في ثلاث مراحل: أولا الصمل الجيفي، فيصبح البدن مثل قطعة الخشب، ويشبه في هذا جمود المجتمع، في ظل الاستبداد الداخلي.

ويكون هذا بدوره مهيئاً للاحتلال الخارجي، فيزحف إلى الجسم ٥٠٠ صنف من الحشرات تفترسه، كما تفعل القوات الأمريكية والخارجية ومخابرات الدول المجاورة في الجسم العراقي اليوم. وبعد الاحتلال الخارجي يمشي التفسخ في الجثة جزءاً فجزءاً، فلا يبقى منها شيء سوى العظام وهي رميم. ودرس العراق كبير أن يفتح عيوننا على قانون موت المجتمعات، وأن (الانهيار الداخلي) هو الذي يمهد (للاحتلال الخارجي)، وحين أخذ صدام المصدوم المشنوق في الانتخابات الأخيرة مائة بالمائة، كان معناه أن الأمة أصبحت صفرا بالمائة، وهو نذير شؤم أنه لم يبق أمة، بل شقي وعصابة، وأن الاكتمال ليس أمامه إلا الأفول، وأن القمر أصبح كالعرجون القديم، فاجتمع على العراقيين الشقاء والغلاء والوباء والغباء والبلاء والعزاء والفناء.

وليس أفضل من العراقيين، في تحليل المجتمع العراقي، ومنهم عالم الاجتماع العراقي (علي الوردي) الذي كتب موسوعة بعنوان (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث)، وهذا الكتاب موسوعة ضخمة من ٦ أجزاء، ينصح بقراءتها في ظل الأوضاع الحالية، من فوضى العراق، حتى نفهم العراق والعراقيين أكثر. وما يحدث في العراق وما سيحدث في المستقبل سيؤثر سلبا أو إيجابا على كل المنطقة.

والوردي رحمه الله مات، ولم يخرج في جنازته سوى نفر قليل، على خوف من فرعون وملئه ان يفتنهم، وكان أعداؤه أكثر من أصدقائه، فالرجل لم يربط نفسه مع حكومة وعصابة، أو يتزلف ود حاكم، كما لم يخطب ود المجرمين، ولم يتودد للمتشددين، بل انكب على العلم فعاش له ومات في أحضانه، وهذا ديدن ودأب الكتاب المستقلين. وعندما يقوم الوردي بتحليل المجتمع العراقي يقول إن ما يحكمه ثلاثة قوانين من علم النفس الاجتماعي:

(ازدواج الشخصية) و(صراع البداوة والحضارة) و(التناشز الاجتماعي).

ويعترف الرجل إن كل واحدة من هذه الأفكار استفادها من مفكر آخر فالأولى اقتبستها من مكايفر، والثانية من ابن خلدون، والثالثة من أوكبرن. غير أنه حوّر وبدل في كل واحدة قليلا، كي يجعلها أكثر انطباقا وانسجاما مع ظروف المجتمع العراقي وطبيعة تكوينه. وعندما يشرح الرجل هذه الأفكار الثلاثة يقول:

وأود أن ألفت نظر القارئ أن هذه الفرضيات الثلاث مترابطة فيما بينها ترابطا وثيقا، وقد يصح اعتبارها أوجها مختلفة، لموضوع واحد، هو موضوع المجتمع العراقي في المرحلة الراهنة التي يمر بها. ومن الملفت للنظر أنه يستشهد بمذكرات (المس بيل) وهي سيدة بريطانية، شاركت في توجيه الحكم في العراق في الثلاثينات، وصدر لها منذ فترة قريبة كتاب مذكراتها، ومراسلاتها لأبويها في بريطانيا، تشرح أوضاع العراق بعفوية وصراحة، وهو يمدنا بمصدر مهم لكشف طبيعة المجتمع العراقي، ولماذا يقتتلون دوما ويسحل بعضهم بعضا؟ ويتنقل من يد إلى يد، فلا يعرف كيف يحكم نفسه، ولا يستسلم لقوة خارجية؟

والأفكار الثلاث التي يوردها (الوردي) واضحة في الأولى والثانية، وغامضة بعض الشيء، في الفكرة الثالثة حول (التناشز الاجتماعي). والمقصود بها صراع القديم والجديد والتراث والمعاصرة أو الأصالة والحداثة.. ويقول الوردي أن العراق هو بلد هابيل وقابيل ،وبعد انهيار الدولة العباسية سيطر المد البدوي على الحياة،لأكثر من ستة قرون، فانهارت سلطة الدولة، واختل نظام الأمن، وظهرت حكومات عاجزة ضعيفة منقسمة على نفسها، في فوضى من أمة تذوي أخلاقيا وفكريا، وتتابعت الفيضانات والأوبئة. ويتعجب الإنسان من القصص التي يرويها الوردي في الموسوعة، عن جرائم تعمم، وجثث تملأ الطرقات الضيقة القذرة، وإعدامات وحمامات دم لاتنتهي، مما جعل الحضارة تذوي في العراق، وتستفحل القيم البدوية، فتصبح نزعة الغزو أقوى عنده من نزعة الإنتاج. وأما التناشز الاجتماعي فهو ذلك التصادم بين قيم الحداثة من: المساواة والعدالة والديموقراطية والحرية، مقابل قيم العصبية والنخوة والوساطة والثأر والدخالة، وحق الزاد والملح وما شابه.

وهذا التصادم يشق الشخصية العراقية شقا فلا تكاد تفهم. وقصة الحروب التي شنها صدام على الجوار تعني أكثر من نفسية صدام، وهي في عمقها دموية العراقيين في عمومهم، وكيفية حل مشاكلهم، وأنا شخصيا لي أخ هرب إلى العراق وعاش وتزوج هناك، فلما اجتمعت به أنكرته، من شدة حدته وارتفاع صوته ومزاجه العنيف، وكان ناعما لطيفا هادئا، ففهمت أثر الوسط في مزاج الإنسان. وأما (ازدواج الشخصية) فهي الورع والتقوى في الفرد بقوة، فإذا شهد معركة محلية أو دخل في مفاخرة ومنابزة، انقلب على عقبيه فأصبح مخيفا على شكل (عباس السبع) و(حسن كبريت) و (أبو الجماجم) ؟؟ يتباهى بالغلبة والاعتداء والنهب والخديعة واحتقار المعتدى عليه أنه مخنث لا خير فيه، على حد تعبير الوردي..هو يفسر دموية الرشيد مع بكائه للمواعظ..أنا شخصيا كنت يوما في العراق نعقد لشخص قد وردنا له عروسا بالبريد؟! وأخطأ الرجل العريس في بعض معلوماته أمام (المأذون) العراقي، فرأيت من شدة عنفه وتأنيبه وحدة ثورته ما لم أستوعب، ولم نستطع إيقاف البركان، إلا بوساطة وشفاعة وتوسل، وهي لحظات لا أنساها قط وأنا أضحك متعجبا. هذه القيم تنشط وتتوغل بقوة في اللاشعور، وهي برمجة ثقافية، أكبر من حجم الوعي الخارجي، الذي نسمعه من المنظرين، من السياسيين الكذابين في القنوات الفضائية، الذين يروجون للضلال أكثر من نشر الوعي الصحي.. ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.

آفاق الكورد
صحيفة إسبوعية
تصدر عن البيت الكوردي
تكون المراسلات على البريد الالكتروني
Afaaqalkurd@shafaaq.com
Info@shafaaq.com
صاحب الامتياز
علي حسين فيلي
هيئة التحرير
صادق المولائي
احمد ناصر الفيلي
علي حسين علي
احمد فاضل عباس
الاشراف اللغوي
محمد علي السماوي
التنضيد الالكتروني
سهام مصطفى محمد
الاخراج الفني
ليث عيسى إبراهيم
الهواتف
هاتف ارضي (٧٤٠٣٤١١)
موبايل(٠٧٩٠١٣٧٣٧٠٢)